الفصل الثالث

علاقة المسلم بمجتمعه

(من خلال السورة)

obeikandl.com

obeikandl.com

اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن يخلق الناس مجتمعين وأن يجعل الإنسان مدينيا بطبعه فلا يستطيع واحد من الناس أن يعيش وحده دون حاجة للغير وأن يستقل عن حاجة الناس، فقد قال الشعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولقد أشار القرآن وأشاد بالبناء الاجتماعي القوم الذي ينسجم مع الفطرة ومع وحي الله، وفي القرآن الكريم نستطيع أن نستخلص الكثير من العظات والعبر، وهذا هو زكريا عليه السلام يشكو الوحدة ويطلب الولد والذرية ليعطيهم ويعطوه مع ما في تربية الأولاد من مشقة وتعب لكنها الطبيعة التي خلق الله الناس عليها قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [سورة مريم ١ :٢] ويقول تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ...﴾ [سورة آل عمران:٣٨] وقد طلب سيدنا إبراهيم نفس المطلب ودعا بمثل هذا الدعاء يقول تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩﴾ [سورة الصافات:٩٩] .

وإن طابع الطاعة نفسها طابعا تعاونيا فما معنى الجماعة في الصلاة وفي الجمع والأعياد؟ إن فيها دعوة للتأليف والترابط والتعاون، إن الأصل في الزكاة تعاون الناس وتراحمهم فيما بينهم وإعطاء الغني جزءا من ماله للفقير المحتاج والحج أيضا دعوة للتعارف وإيصال البر إلى قوم يسكنون في هذا المكان تحقيقا لدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ...﴾ [سورة إبراهيم:٣٧] .

فالتعاون أساس السعادة ونظام العمران لذلك حث الشارع على هذا التعاون وحض عليه فيقول المولى جلا وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...﴾ [سورة الحجرات:١٣]، وقال أيضاً: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ...﴾ [سورة المائدة:٢].

ولقد كانت دعوة النبي ﷺ المسلمين إلى أن يكونوا كالبنيان يشد بعضهم بعضا وهو تعبير دقيق يعطي للتعاون معنى التكاتف وكأن مصلحة المؤمن هي نفس مصلحة أخيه، لذا نراه ﷺ يقول في الحديث الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا..."(١)، ثم يدعو إلى مساعدة الآخرين والوقوف بجانب المحتاجين سواء كانت هذه الحاجة مادية أو معنوية فيقول ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس" ويقول أيضا: "من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"(٢).

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة المجادلة:١١].

وسبب نزول هذه الآية كما يقول قتادة في مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض، وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول

---

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، ص ٤٥٥؛ مسلم، م٦، جـ١٦، باب تحريم الظلم، ص ١٣٩.

(٢) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم، ص١٣٤، ١٣٥.

الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم ذلك فرداوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم فقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما رأيته قد عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقاموا وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلا يفسح لأخيه فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسخ القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة، وإذا صحت هذه الرواية فإنها لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تنهي عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه كما جاء في الصحيحين: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا"، وما ورد كذلك من ضرورة استقرار القادم حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب الناس ليأخذ مكانا في الصدر: فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس كما تحض على إطاعة الأمراء إذا قيل لجالس أن يرفع فيرتفع وهذا الأمر يجئ من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة لا من القادم، والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان ومتى رحب القلب اتسع وتسامح واستقبل الجالس إخوانه

بالحب والسماحة فأفسح لهم في المكان عن حب وارتياح فأما رأى القائد أن هناك اعتبارا من الاعتبارات يقتضي إخلاء المكان فالطاعة يجب أن ترى عن طواعية نفس ورضى خاطر وطمأنينة بال مع بقاء القواعد الكلية مرعية كذلك مع عدم تخطي الرقاب أو إقامة الرجل للرجل ليأخذ مكانه، وإنما هي السماحة والنظام يقررهما الإسلام والأدب الواجب في كل حال، ومن هذه الآداب التي اعتنى بها الإسلام من خلال هذه الآيات:

آداب المجالس:

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المجادلة: ٩-١١] .

في هذه الآيات يعلم الله عباده أدب المجالس وقد بين لهم قبل هذه الآية ما كان عليه اليهود والمنافقين في مجالسهم أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم فشكا أصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء إليه فنهاهم النبي ﷺ فلم ينتهوا، فنادى الله عزوجل جماعة المؤمنين ألا يسلكوا مسلك هؤلاء وأن يكون تناجيهم بالبر أي بالخير والطاعة والإحسان وألا يكون بالإثم وهو القبيح من القول أو العدوان على الغير أو المخالفة والمعصية لأمر الرسول ﷺ لأن هذا من

تزيين الشيطان، ثم أمرهم بعد ذلك أن يوسع بعضهم لبعض في المجلس، فمن أفسح لأخيه في مجلسه وأكرمه وسع الله عليه وأكرمه.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين: "وتناجوا بالبر" أي بالفرائض والطاعات، "والتقوى" أي بترك المعاصي ويحتمل أن يكون المراد بالبر الورع وبالتقوى الواجبات من صلاة وزكاة واتباع كتاب"[1].

والمسلم حياته كلها خاضعة وتابعة للمنهج الإسلامي الذي تناول كل شأن من شئون الحياة حتى جلوس المسلم وكيفية مجالسته لإخوانه فلذا كان على المسلم أن يلتزم بالآداب التي تتمثل في النقاط التالية:

أولاً: السلام على أهل المجلس: وهذا أدب رفيع من آداب الإسلام ينشر المودة والتآلف بين الجالسين ومن هم قادم عليهم إذ السلام في معناه الأمن والطمأنينة، حتى إذا ما فرغ من السلام يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما ولا يقيمن أحدا من يجلس فيه، قال ﷺ: "لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا أو تفسحوا".

ثانياً: إذا قام أحد من مجلسه وعاد إليه فهو أحق به لقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به"[2].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فلقد علمنا نل شيء حتى في مجالسنا: "لقد كان ﷺ أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما، ولم يكن

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م ٣ ن ص ٤٦٢.
(٢) مسلم، م ٧، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه، ص ٤١٥.

يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما روى قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبين قرابة ولا رقاع يجلس عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

فعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: "دخل سلمان على عمر وهو متكئ على وسادة فألقاها له فقال سلمان: الله أكبر، صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله، فقال سلمان: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة، فألقاها إلي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم، فيلقي له الوسادة إكراما له إلا غفر الله له"، وعن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس احتبى بثوبه، وعن أبي أمامه الحارثي قال: "كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس القرفصاء"[1].

ومن الكبر أن يجلس الإنسان في وسط الحلقة لقول حذيفة أن الرسول ﷺ لعن من جلس في وسط الحلقة.

ثالثاً: أن يراعي في مجلسه شعور إخوانه لأن مخالفة المسلم لهذه الآداب فيها إيذاء لمشاعر إخوانه وهو ما نهى عنه النبي ﷺ في قوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" بمعنى ألا يكذب الإنسان في حديثه من أجل أن يضحك الآخرين مثلا قال ﷺ "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس

(١) الأصفهاني، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق أحمد محمد مرسي ومراجعة محمد عبد الرحمن عثمان، مؤسسة الأهرام، ص ٢٦٤.

فيكذب، ويل له ويل له ويل له"، وألا يكثر من مدح بعض الجالسين رياء ونفاقا، فقد نهى الرسول ﷺ عن هذا الأمر، فعن أبي هريرة أنه قال: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب".

ويجب على المسلم كذلك أن ينصت إلى غيره حيث يتحدث وألا يقاطع الكلام وألا يظهر عدم اهتمامه بحديث غيره، وكذلك يجب عليه ألا يتكلم فيما لا يعنيه، قال ﷺ: "من حسن السلام المرء تركه مالا يعنيه". كذلك فإن الفضول من الصفات غير مستحب في المجالس قال ﷺ: "طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله" وعلى المسلم ألا يخوض في حديثه في الباطل لقول الرسول ﷺ: "أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل".

ومن آفات اللسان التي يجب على المسلم تركها في مجلسه مع إخوانه المراء والجدال وهما صفتان مذمومتان قال ﷺ: "لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه"، وكذلك يجدب على المسلم في مجلسه ألا يتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة وكذلك الفحش والسب وبذاءة اللسان، قال ﷺ: "إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش والتفحش"، ويجب على المسلم الابتعاد عن اللعن لقول الرسول ﷺ: المؤمن ليس بلعان".

ومن الأشياء التي يجب أن يراعيها المسلم عند حديثه في مجلسه مع إخوانه عدم السخرية والاستهزاء، قال ﷺ: "من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله" كذلك فإن ما يجب على المسلم مراعاته في حديثه هي الغيبة وهي من أعظم المحرمات والذنوب قال ﷺ: "إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا..." والنميمة

كذلك لا تقل سوءا عن الغيبة، قال ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام"[1]. وهذا لون من أدب الحديث في المجلس وامتثالا لتعاليم الله سبحانه وتعالى حيث قال: "وتناجوا بالبر والتقوى".

رابعاً: آداب الجلوس في الطرقات:

أ - **غض البصر**: فلا يفتح بصره في مارة من المؤمنات أو واقفه ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها أو مطلة على نافذتها لحاجتها كما لا يرسل نظره حاسدا لأحد وزاريا على أحد وليس معنى غض البصر أن يجلس الشخص مغمض العينين لأن مراد الإسلام من وراء ذلك أن يحفظ على الإنسان نفسه فمن سرح ناظره أتعب خاطره ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته، وقد أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالغض من أبصارهم في قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النور: ٣٠]، وفي الحديث القدسي: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاته في قلبه"[2].

ب - **كف الأذى**: لقد مدح الرسول ﷺ أصنافا من الناس كفوا أيديهم عن أذى المسلمين وضمن الرسول ﷺ لهم الجنة فقال عليه السلام: "اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، م٣؛ كتاب آفات اللسان، خرجه الإمام العراقي، وابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني، جـ٨، ص٦٣، وقال عبدالله بن اسحق ضعيف.

إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"[1] ومعنى ومعنى كف الأذى ألا يؤذى أحدا بلسانه سابا أو شاتما أو عاتبا مقبحا ولا بيده ضاربا ولا سالبا لمال غيره غاصبا ولا معترضا في الطريق صادا المارة قاطعا سبيلهم.

جـ - رد السلام: أن يرد سلام كل من سلم عليه من المارة إذ أن رد السلام واجب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ..﴾ [سورة النساء:٨٦] .

د - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمعنى إذا شاهد المسلم في مجلسه معروفا قد أهمل شأنه فعليه الأمر بالمعروف مثل ذلك إذا نودي الصلاة ولم يجب الحاضرون وجب عليه أن يأمرهم بإجابة المنادي للصلاة، ولا يغيب عنه قول الرسول ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[2]، وكذلك يجب عليه إذا شاهد منكرا أمامه كأن رأى شخصا بغى على أخيه فسلبه ماله أو ضربه فعليه حينئذ أن ينهاه في حدود طاقته إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة كل مسلم.

هـ - أن يرشد الضال: لو استرشده أحد في بيان منزل أو هداية طريق أو تعريف بأحد من الناس لوجب عليه أن يبين له المنزل أو يهديه الطريق كل هذا من آداب الجلوس في الطرقات وذلك لقول الرسول ﷺ:

---

(١) مسلم بشرح النووي، م١، ص ٣٨٩، باب بيان غلظ تحريم النميمة.
(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس على الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص١٢.

"إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: مالنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1].

آداب مجالس العلم:

لقد عقب الله عز وجل بعد أمره المؤمنين بالتوسع في المجالس بيانه لمنزلة العلماء وأن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس: "يرفع الله الذين آمنوا منكم" جواب الأمر كأنه قيل: إن تنشزوا يرفع عز وجل المؤمنين منكم في الآخرة جزاء للامتثال "والذين أوتوا العلم "الشرعي" درجات" أي كثيرة جليلة كما يشعر به المقام، وعطف "الذين أوتوا العلم" على "الذين آمنوا" بين عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدهم كأنهم جنس آخر ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم"[2].

منزلة العلم والعلماء: لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرا لم يسبقه إليه دين قبله ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت في القرآن الكريم كانت دعوة إلى العلم يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [سورة العلق:١]، ولم يكن الأمر في هذه الآية لمجرد المصادفة ولكنه دليل على اهتمام الإسلام بالعلم منذ بداية ظهوره.

---

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب الاستئذان، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا...﴾ [سورة النور:٢٧] ص٨٦.

(٢) الألوسي البغدادي، روح المعاني، م١٥، دار الفكر، ص ٤١، ٤٢.

شرف العلم: "العلم من حيث هو نور وهداية للمذنبين يهتدى به ولذا يصل به القرآن إلى ذروة التشريف والتكريم ويبلغ به أسمى المراتب والغايات ويعلق به كل خير واستقامة ويجعله مفتاح كل صلاح وفلاح ومرقاة إلى الدرجات العلا في الدنيا والآخرة وبيان ذلك: أن العلم صفة لله تعالى، وهو قرين نعمة الخلق، وهو أبرز امتياز لآدم على الملائكة وأول القرآن نزولا وهو وصف لإكرام الخلق وغاية التشريف لأهله"[1].

فضيلة العلم من القرآن والسنة:

قال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٨] ، وقال تعالى: ﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ [سورة المجادلة:١١] ، وقال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ [سورة الزمر:٩]،وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾ [سورة فاطر:٢٨] .

ويقول الرسول ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"، وقال عليه السلام: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده". وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لكميل: يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق"، وقال علي أيضا رضي الله عنه: "العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه"[2].

---

(١) عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص١٨٩.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ١، ص ٧.

وحسبنا أن نعلم أن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرة عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية عن الأمة، ولم يسو الله بين العلماء والجاهلين فقال تبارك وتعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر:٩].

ولقد عرف الصحافة فضل العلماء وقدرهم فقد روى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة أمه، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا، فقبل زيد يده وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

فضيلة التعلم: لم يكتف القرآن الكريم بتقرير شرف العلم والعلماء أو بيان منزلته ومنزلتهم من الفضل وإنما كلفنا بالعلم وحثنا على طلبه وتحصيله تارة على سبيل الأمر والإلزام وتارة على سبيل الندب والاختيار حسب نوع العلم وموضوعه ونهانا عن بعض ضروب العلم الضارة، لذلك قال الرسول ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وقال تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾ [سورة التوبة:١٢٢] وقال ﷺ: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة"، ومن الأقوال المأثورة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة"، وقال الشافعي رضي الله عنه: "طلب العلم أفضل من النافلة".

ولم يفرق الإسلام بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بها جميعا وجمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى: ﴿﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾ [سورة فاطر:٢٧]، وفي ذلك

إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ...﴾ [سورة فاطر:٢٧] وفي ذلك إشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيمیائه ﴿... وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر:٢٧] ، وفي ذلك إشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ...﴾ [سورة فاطر:٢٨] ، وفيه إشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون، ثم يردف ذلك كله بقوله: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ...﴾ [سورة فاطر:٢٨] .

دور الداعية في نشر العلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، "أنه من بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وماذاك ياأبا هريرة،قال: ذلك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا: وأين هو؟ قال" في المسجد، فخرجوا سراعا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: مالكم، فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يقسم، فقال لهم أبو هريرة وما رأيتم في المسجد أحدا، قالوا بلى رأينا قوما يصلون وقوما يقرءون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ "[1]، ويذكرنا موقف سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه في حثه التجار على طلب العلم بما يكون عليه حال الدعاة في نشرهم العلم إذ أن أبا هريرة رضي الله عنه كان تلميذا نجيبا من تلاميذ الرسول ﷺ ، فلما تخرج من مدرسته ﷺ كان بعد ذلك أستاذا يقتدى به ويستفاد بعلمه، وهو في هذا الحوار

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، جـ١، كتاب العلم، ص٦١، ونسبه للطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

الذي دار بينه وبين التجار في السوق يعلمنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى وكيف يكون الوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة، وما أحوج الداعية إلى أن يتعلم من أبي هريرة هذا الدرس المستفاد الذي لو طبقه كل داعية لانتشر العلم النافع في كل مكان ولكان الإقبال على مجالسه أكثر بكثير من هذا الإقبال الذي نراه في زماننا هذا.

آداب المعلم والمتعلم: آداب المعلم:

أ – التطبيق العملي: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾

[سورة التوبة:١٠٥].

ب – البلاغ والبيان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...﴾ [سورة البقرة:١٥٩].

ج – لزوم الصبر والحلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ...﴾

[سورة الأعراف:١٩٩].

د – التواضع ولين الجانب:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ...﴾ [سورة الفرقان:٦٣].

هـ - الترفع عن مجالس اللهو واللغو: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ...﴾

[سورة القصص:٥٥].

و – الاستزادة من العلم: ﴿...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ...﴾

[سورة طه:١١٤].

آداب المتعلم:

أ – الاستعانة بالله في طلب العلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ...﴾ [سورة العلق:١].

ب – الرجوع إلى العلماء في أخذ العلم: ﴿... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ...﴾

[سورة النحل:٤٣].

ج – التزام آداب المجالس العلمية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ ... ﴾ [سورة المجادلة:١١].

د – تخير الألفاظ الحسنة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾ [سورة الحجرات:٢].

ومن آداب المتعلم مع من يعلمه: أن يتأدب معه ويبجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك، ولا يومئ بيده في وجهه، ولا يقل له ما تحفظ في كذا؟ وما مذهب إمامك؟ أو ما مذهب الشافعي في كذا وإذا أجابه لا يقل هكذا قلت أنا، أو كذا وقع لي، ولا يقل أفتاني فلان، أو غيرك بكذا، أو يقل أن جوابك موفق لأكتب وإلا فلا أكتب.

ويرتبط بهذه الآية الكريمة التالية لها وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة المجادلة:١٢]، وقد عمل بهذه الآية الإمام علي كرم الله وجهه فكان معه كما روى عنه دينار فصرفه دراهم وكان كلما أرد خلوة برسول الله ﷺ لأمر تصدق بدرهم ولكن الأمر شق على المسلمين وعلم الله ذلك منهم وكان الأمر قد أدى غايته وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها فخفف الله عنهم ونزلت الآية التالية برفع التكليف وتوجيهه إلى العبادت والطاعات المصلحة للقلوب، ويقول تعالى: ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المجادلة:١٣] وهنا نجد لونا من ألوان الجهود التربوية لإعداد هذه الجماعة المسلمة في الصغير والكبير من شئون الشعور والسلوك.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الآية ترتبط ارتباطا وثيقا بالآيات التي قبلها والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة المجادلة ٩، ١٠]. فهذه الآيات الكريمة ينهى الله تعالى فيها عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ. وكان من لطف الله لعباده أن يتبعها بالآيات التي من شأنها يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بين المسلمين. حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المجادلة ١١-١٣]. فلقد نادى الله في هذه الآيات جماعة المؤمنين أن يوسع بعضهم لبعض في أي مجلس من المجالس فإذا ما امتثلوا لهذا الأمر وسع الله عليهم لا في المجالس وحدها بل يوسع الله عليهم في أرزاقهم وهذا تعليم من الله عز وجل بأن من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة. ثم بين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك أنه حتى إذا أمرهم بالنهوض من المكان كله للإفساح لغيرهم فعليهم الطاعة وتكون الحالة الرفعة في الدرجات يوم القيامة لهؤلاء الذين يعلمون أوامر الله ويعملون بها. ويؤكد ذلك الإمام الطبري.

في تفسيره للآية حيث يقول إن النشوز يكون: "إلى كل خير: قتال عدو أو أمر بالمعروف أو الصلاة أو حق ما كان".

إن هذا التوجيه الإلهي ليبرز لنا صورة من صور التآخي في الله وما تقتضيه هذه الأخوة من المحبة والتواد والبعد عن التدابر والتشاحن والتباغض، وانطلاقا من هذا التوجيه يجدر بنا التحدث عن مفهوم الأخوة بصفة عامة، فالأخوة مصدر للفعل آخى وآخى فلان فلانا أخوة أي اتخذه أخا وكذلك أخاه مؤاخاة، والأخ هو من جمعك وإياه صلب – أي كان أخا شقيقا أو أخا لأب – أو هو من جمعك وإياه بطن – أي كان أخا لأم أو من جمعك وإياه رضاعة من امرأة واحدة فهو أخ من الرضاعة، والأخ: الشريك – والأخ: الصديق – والأخ: من يتوخى مذهب أخيه أي يقصده.

والأخوة في الله منحه قدسية وإشراقة ربانية ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه، فيقول الله عز وجل: ﴿...لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ...﴾ [سورة الأنفال:٦٣]، ويقول تعالى: ﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، ولذا كانت الأخوة في الله صفة ملازمة للإيمان، وخصلة مرافقة للتقوى، إذ لا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، كما أنه لا صداقة بلا تقوى، ولا تقوى بلا صداقة"[1].

(١) عبدالله ناصح علوان، الأخوة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص٥.

المؤاخاة في الإسلام:

أما مبدأ الإخاء البشري العام فقد قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعا أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة والرحم الواصلة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ...﴾ [سورة النساء:١]، وما أحق كلمة الأرحام المذكورة في هذه الآية أن تفسر بحيث تشمل بعمومها الرحم الإنسانية العامة لتنسق مع بداية الخطاب "يأيها الناس" ومع ذكر النفس الواحدة التي خلق الله منها جميع الناس رجالا ونساء وهي نفس آدم عليه السلام وعطفها على لفظ الجلالة "الله" في هذا المقام يدل على أن لهذه الأرحام شأن أي شأن وقد كان رسول الله ﷺ يقرر هذا المبدأ ويؤكده كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة: "اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الله وحدك ولا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة"، وبهذا الدعاء كان يناجي رسول الله ﷺ ربه بعد كل صلاة، وأنه ليدلنا أوضح دلالة على قيمة الإخاء البشري في رسالة الإسلام.

وإن الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشد عضده ويقويه ويجعل له في الواقع الناس كتلة حية ملموسة تؤمن به وتطبقه وتدعو إليه وتدافع عنه فلا تنافي إذن بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي نلمسه في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [سورة الحجرات:١٠] وقوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..."[1].

---

(١) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.

وكانت البداية للإخاء الإسلامي في مكة لتوثيق العلاقة والروابط بين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي عن طريق المشاركة الوجدانية والزكاة التي كان يدفعها الأثرياء دون حد أدنى لتحرير الإماء والرقيق المسلمين من أيدي مشركي مكة، أما البداية الحقيقة الملموسة فكانت في المدينة حينما هاجر الرسول ﷺ وبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمؤاخاة بين الأوس والخزرج وسموا بالأنصار واندمج الجميع في مجتمع إسلامي واحد،وقد أشاد الله بهذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [سورة الحشر:٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله؟ فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق... فربح شيئا من أقط وسمن فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال النبي ﷺ: مهيم يا عبد الرحمن، قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: فما سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب. فقال النبي ﷺ: أولم ولو بشاة"[1].

وترجع أهمية هذا الإخاء الذي قام به الرسول ﷺ إلى:

أولاً، إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة فكل جماعة لا تؤلف بينها أصرة المودة والتآخي

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، جـ١٤، ص٢٦٤.

obeikandl.com

الحقيقية ولا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة.

ثانياً: إن المجتمع – أي مجتمع – إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس متناثرة متفككة بشيء واحد هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها فإن كان هذا التعاون والتناصر قائما طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم فذلك هو المجتمع العادل السليم وإن كان ذلك قائما على الحيف والظلم فذلك هو المجتمع الظالم والمنحرف.

ثالثاً: لم يكن ما أقامه الرسول ﷺ بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على ألسنتهم وإنما كان حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، ولذلك جعل النبي ﷺ من هذه الأخوة مسئولية حقيقة تشبع بين هؤلاء الأخوة وكانت هذه المسئولية تؤدي فيما بينهم على خير وجه.

فضل الأخوة ومكانتها:

إن حرص الرسول ﷺ على إرساء مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم بين المسلمين بعد ذلك بصفة عامة ليدلنا على عظمة هذا المبدأ لذلك إذا تدبرنا آيات القرآن الكريم التي تحث على هذا الإخاء والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على إرساء هذا المبدأ وتطبيقه بين المسلمين لرأينا مدى عظمة هذا الإخاء وفضله في توحيد الأمة الإسلامية.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ... ﴾ [سورة الحشر:١٠] ، ويقول تعالى: ﴿... ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [سورة الحشر:٨] ، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ... ﴾ [سورة الحشر:٩] ، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ... ﴾ [سورة الحجرات:١٢] ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [سورة الحجرات:١٠]،ويقول تعالى: ﴿... وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] ، ويقول تعالى: ﴿... لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [سورة الأنفال:٦٣] .

وترجع نعمة الأخوة إلى أنها خالطت القلوب وأحالتها إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب وتؤدي إلى الولاء والتناصر والسماحة والهوادة، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [سورة الحجر:٤٧] ويقول رسول الله ﷺ: "إن من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا في روح الله بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس"، ويؤكد الله تعالى على ضرورة الاعتصام والأخوة فيقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] .

درجات الأخوة وشروطها في الإسلام:

من درجات الأخوة "التعارف" ومعناه أن يتعارف الناس بعضهم ببعض، والتعارف بين المسلمين استجابة لأمر الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴾ [سورة الحجرات:١٣]. وذلك يتطلب أن يعرف المسلم أخاه المسلم اسمه ونسبه وظروفه الاجتماعية، بل يعرف ما يحب وما يكره حتى يعينه إذا أحسن ويستغفر له إذا أذنب ويدعوله بالخير إذا أدبر ويحبه إذا تاب وتلك من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك في السنة النبوية المطهرة: روى الديلمي بسنده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أربع من حق المسلمين عليك، أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم".

التآلف: وهو أن يألف المسلم أخاه المسلم أو يألف الناس بعضهم بعضا وقد امتن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم فقال عز وجل: ﴿... وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ...﴾ [سورة الأنفال:٦٣].

التفاهم: هو أن يتفاهم المسلم مع أخيه المسلم على الأصول الكبرى في الإسلام أولا ثم على بعض ما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى التفاهم وتلك الأصول التي يجب أن يتفاهم عليها المسلمون وهي الاعتصام بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧٥]،

وقال جل شأنه: ﴿...وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران:١٠١]، والقرآن الكريم هو حبل الله الذي يربط بين هؤلاء المتآخين.

الرعاية والتفقد: وهي أن يرعى الأخ أخاه ويتابعه ويتفقد ظروفه ليبادر بتقديم العون له دون أن يسأله أخوه العون لأن ذلك من حق أخيه عليه، والأصل الإسلامي في وجوب الرعاية والتفقد هو ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١).

ومن رعاية المسلم لأخيه المسلم أن يعمل ما بوسعه على أن يفرج همه إذا أصابه هم وأن ييسر له ما عسر عليه من الأمر وأن يستره وأن يعينه في قضاء حوائجه، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.."(٢). ومن رعاية المسلم لأخيه أن يؤدي نحوه الحقوق التي أوجبها الإسلام، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"(٣).

التعاون: وهو المؤازرة والتظاهر، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، فيقول الله تعالى:

---

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ١، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، ص١٢.
(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، جـ٤، ص٢٠٧٤.
(٣) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم السلام، جـ١٤، ص ١٤٣.

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...﴾[سورة المائدة:٢] . والتعاون ثمرة للتفقد والرعاية وهو يشد من أزر الروابط بين الأخوة في الإسلام ويدعم أسسها وقواعدها.

التناصر: وهو نوع من التعاون ولكنه أعمق منه وأشمل وأكثر دلالة على الموالاة والمحبة والتناصر بين الأخوين في الإسلام يعني أمورا كثيرة، فالأخ لا يسلم أخاه لشر أو مكروه ولا يخذله في موقف له فيه حق أو مصلحة لا يضر الحصول عليها بآخرين، وأن يأخذ الأخ بيد أخيه فينصره على شيطانه الذي يوسوس له بالشر وينصره على نفسه وما تهجس به من هواجس وأوهام تدعوه إلى التقاعس على فعل الخير، وأن ينصره على كل من يقل عقبة في طريق الحق والهدى والدعوة إلى الله، وأن ينصره ظالما أو مظلوما ينصره ظالما بأن يمنعه من الظلم وممارسته وينصره مظلوما بأن يعمل على رفع الظلم عنه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله..."[١].

ومن شروط الأخوة[٢]: "العقل" فلا خير في صحبة الأحمق، حيث إن الفهم والتفاهم مطلوب في الأخوة. "وحسن الخلق" لتقويم الأخلاق وإدراك الأشياء والابتعاد عن الغضب والشهوات. "وأن يكون غير فاسق" فالفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض، قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ...﴾[سورة الكهف:٢٨] ، وقال تعالى: ﴿... وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ...﴾[سورة لقمان:١٥] .

---

(١) مسلم، م٦، ج١٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ٢، المكتبة التجارية الكبرى، كتاب الأخوة في الله.

"ولا يكون مبتدعا": فالمبتدع في صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: "عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على أمرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى".

"ولا يكون حريصا على الدنيا" فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص وبحالة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستجيب صحبة الراغبين في الآخرة، قال لقمان: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر".

حقوق الأخوة في الإسلام ومنها السلام:

وهو من الحقوق التي توثق علاقة المسلم بأخيه المسلم وتقوى من رباط الأخوة وتسد الثغرات التي ينفذ منها الشيطان لتقويض عرى الأخوة: يقول رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه"[1]، "إن السلام من تحيات الملائكة والنبيين وشعار التلاقي في الجنة، وإن

(١) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، جـ١٤، ص ١٤٣.

السلام من أسباب علو المنزلة ورفعة الشأن لأن النفوس المتصافية تزداد المودة والألفة فيما بينها ولا أدل على التصافي من انتشار السلام ففي إفشاء السلام تأمين وحشة المسلم واطمئنان قلبه إليك ورغبته في منادمتك وحتى نحرص سويا على تحقيق هذا الحب في الله الذي يثبته إفشاء السلام.

فالسلام هو التحية التي شرعها الله للمسلمين يحيي بها بعضهم بعضا وهي تحية ذات شرف وفضل لأنها من عند الله لا من عند غيره وهي كما وصفها الله مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ...﴾[سورة النور:٦١] ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى وفي جعله تحية الإسلام ذكر الله تعالى وفي ذكره تعالى الخير، والبركة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ...﴾[سورة الحشر:٢٣] ، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴾ [سورة الأنعام ١٢٧] ، فهي دار الله ودار السلامة التي أعدها الله لعباده المتقين، والسلام تحية الله تعالى لأهل الجنة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ...﴾ [سورة الأحزاب:٤٤] ، وقال تعالى في وصفه نعيم أهل الجنة: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يس ٥٧ :٥٨] ، وهي تحية الملائكة لأهل الجنة قال تعالى: ﴿...وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد:٢٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ...﴾ [سورة الزمر:٧٣] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة ٢٥ .٢٦] .

والسلام تحية الله في الدنيا لأنبيائه ولعباده الصالحين وكذلك تحية الملائكة لهم، قال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ

بِٱلْبُشْرَىٰ ... ﴾ [سورة هود:٦٩] ، ويقول تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات:٧٩] ، ويقول تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الصافات:١٠٩]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [سورة الصافات:١٢٠] ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات:١٣٠] ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الصافات:١٨١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ يوما: يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقالت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته" وفي الصلاة التي هي أم العبادات يفرض على المصلي أن يسلم على النبي ﷺ وعلى نفسه وعلى المؤمنين وعلى عباد الله الصالحين فيقول في تشهده: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين... وختام الصلاة يقول يمينا ويسارا "السلام عليكم ورحمة الله"[1].

وإذا كانت غاية السلام إزالة كل ما يدعو إلى تعكير صفو الجماعة المسلمة، فمن ثم فإن سلامة الصدر هي خير معين على توحيد قلوب المسلمين وتوثيق العلاقة بينهم، ومن ثم فإن الجماعة المسلمة تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع والتعاون المتبادل، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر:١٠] ، وعن عبد الله ابن عمرو "قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد".

---

(١) محمد محمد الشريف، صلاح الأمة على هدي السنة، دار الصحوة للنشر، ص١٧.

لذلك كان من حرص الإسلام على دوام توثيق هذه العلاقة التحذير من كل ما يدعو إلى تقويضها ويتمثل هذا التقويض في "النجوى" التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة المجادلة والتي هي باب من أبواب الشيطان الذي عن طريقه يبث البغضاء بين الجماعة المسلمة ويفت في عضدها لهذا قال الرسول ﷺ: "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم". ويصف الله سبحانه وتعالى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المجادلة.١٠]، وإنها صفة من صفات اليهود والمنافقين الذين نهوا عنها ولم ينتهوا ولكن الله علم جماعة المؤمنين ألا يسلكوا هذا المسلك، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه"[1].

ومن منطلق توجيهات النبي ﷺ في بيان حق المسلم على المسلم تتتبع بقية الحقوق: "النصح له" ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾ [سورة التوبة:٧١]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

"السعي في حاجته" وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم

---

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب الاستئذان ن باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة، ص٩١.
(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن تحب لأخيك ما يحب لنفسه، جـ١، ص ٥٦، ٥٧.

كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[1].

"كف الأذى عن المسلم" فيقول الرسول ﷺ ناصحا المسلمين "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[2]. فكف الأذى عن المسلم حق من حقوق الأخوة في الله.

"نصر المظلوم" وحتى لا تضيع الحقوق وتنتشر الفوضى ويأكل القوي الضعيف فقد أمرنا النبي ﷺ بنصرة المظلوم والوقوف بجانبه حتى يعود الحق إلى صاحبه فقال ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، وفي نصرة المظلوم حتى يأخذ بحقه والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن جنايته حفظا لنظام المجتمع وحماية الضعفاء من جبروت الأقوياء" عدم التقاطع والهجران"، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال محذرا من الخصام والهجر بين المسلمين: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

"عدم احتقار المسلم والتنقص منه" مادام المسلمان قد اجتمعا على طاعة الله فلا ينبغي الواحد منهما أن يحتقر أخاه أو يعيبه أو ينتقص من شأنه فهذه آفة مذمومة نهى عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ...﴾ [سورة الحجرات:١١].

"الدعاء للمسلم" ويحض الرسول ﷺ على ذلك فيقول: "ما من مسلم يدعو لأخيه في ظهر الغيب إلا قال الملك: ولك مثل ذلك"[3].

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وعلى الذكر، جـ٤، ص ٢٠٧٤.
(٢) البخاري بحاشية السندي، جـ١، ص ١١.
(٣) مسلم، م٦، جـ١٧، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين، ص٤٩.

"ستر المسلم لأخيه المسلم": يقول الرسول ﷺ: "من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة".

"رد غيبة أخيه المسلم": يقول ﷺ: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".

"عفو المسلم عن اخيه": يقول الله تعالى في ذلك: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، ويقول تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الشورى:٤٣]، ويقول الرسول ﷺ: "إنما أنزل هذا العفو من أخلاق الناس أي تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك".

"الوفاء والإخلاص": يقول الله تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٤]، ويقول الرسول ﷺ محذرا من عدم الوفاء في حديثه الشريف: "أربع من كن فيه كان منافقاً...[1].

دور الداعية في توثيق روابط الأخوة بين المسلمين:

يجب أن يدرك الداعية المسلم أنه من السهولة أن يسمع له الناس، ولكن من الصعوبة بمكان أن يعمل معه هؤلاء الناس لأن الاستماع أمر محبب إلى النفس ومن الممكن أن يدفع لك الناس اشتراكا ماديا، لكن من الصعوبة أن يشتركوا معك في قول الحق. فطريق الدعوة ليس شعارات ولا هتافات أو مظاهرات كلامية.

(١) مسلم، م١، جـ٢، باب خصال المنافق، ص ٤٦.

وإنما هي علم دؤوب متواصل يهدف إلى نقل الناس من المحيط الآسن إلى المحيط الهادي ومن البحر الأسود إلى البحر الأبيض، وهذا يحتاج إلى عاطفة قوية طاهرة ليستعذب حلاوتها ويتذوق شهدها ويأنس إليها وبها، وصدق رسول الله ﷺ إذ يوجهنا إلى هذه المعاني الجليلة فيقول عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله..."[1].

وإذا أراد الداعية أن يؤلف بين قلوب المدعوين فعليه أن يسلك هذه المبادئ:

أولاً: شعور المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصي، ولنا في أنبياء الله الأسوة الحسنة فكل نبي دعا قومه بين لهم أنه لا يريد من وراء دعوتهم جزاء ولا شكورا، ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الشعراء:١٠٩].

ثانياً: شعور المدعو أنك حريص عليه تحب له الخير، ألم تر ما قاله كل رسول ونبي لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة الشعراء:١٣٥].

ثالثاً: عدم تعنيفه ولو بالكلمة، مع الرفق به.

رابعاً: أن تدنيه منك وتلاطفه وتهش في وجهه ولا تتبع عوراته.

ومن حق المسلم على المسلم "التكافل"، ويعتبر هذا الحق على رأس هذه الحقوق وأهمها حيث إنه من السهل على الإنسان القيام بالحقوق السابقة كاملة لأنها لا

---

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، جـ٤، باب الترغيب في الحب في الله تعالى، ص ٤٨، نسبة لأبي داود.

تكلفه عناء ماديا، لكن من الصعب عليه أن يتكلف لأخيه من الناحية المادية وهذا ما يضع هذا الحق في المرتبة الأولى من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

والتكافل كما جاء في مختار الصحاح في باب "كفل": الكفل: الضعف قال الله تعالى: ﴿... يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ...﴾ [سورة الحديد:٢٨]، وقيل إنه النصيب، وذو الكفل اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو من الكفالة، "والكفل" أيضا ما "اكتفل به الراكب وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ومنه حديث إبراهيم قال: يكره الشرب من ثلمة الإناء ومن عروته قال: يقال إنها كفل الشيطان" والكفيل: الضامن وقد كفل به يكفل بالضم "كفالة" و"كفل: عز بالمال لغريمه. وأكفله المال ضمن إياه و"كفل: إياه بالتخفيف: "تكفل" هو به من باب نصر ودخل، و"كفله" إياه "تكفيلا" مثله و"تكفل" بدينه و"الكافل" الذي يكفل إنسانا يعوله ومنه قوله تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...﴾ [سورة آل عمران:٣٧] وقرئ و"كفلها" بكسر الفاء و"الكفل" بفتحتين للدابة وغيرها.

المعنى اللفظي للتكافل الاجتماعي:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[1]: يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادرا أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن

(١) محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، ص

البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة ولعل أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله عليه الصلاة والسلام:"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(١).

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤاداه أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها وأنه إن تقاصر في أدائها فقد يؤدي ذلك إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره وأن للفرد حقوقا في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال. والتكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون القيام بعمل يسد عجز العاجزين ويهيئ العمل للقادرين ويربي النشأ تربية تظهر القوي والمواهب والذين يخرجون إلى الحياة وقد فقدوا الآباء والذين يعجزون بعد القدرة من العاملين فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة كفاء ما قدموا من خدمات وإن التكافل الاجتماعي يوجب على كل قوى المحافظة على سلامة الآحاد ليسير في قافلة المجتمع العاملة". "فالتكافل ارتباط متداخل هدفه إبقاء على نقاوة المجتمع وصيانة نفسيات أفراده والحفاظ على المحبة باعتبارها لحمة النسيج الاجتماعي في الإسلام"(٢).

مصادر التكافل الاجتماعي:

أولاً: الزكاة: تعتبر أعظم مورد من موارد التكافل الاجتماعي وهي الواجب الأول على الدولة بالنسبة للفقراء. ولأهمية الزكاة فقد كان رسول الله ﷺ يرسل ولاة الصدقات إلى القبائل التي كانت تدخل في الإسلام لكي يجمعونها وقد جاء في وصاياه ﷺ "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا غلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم

(١) البخاري بحاشية السندي، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، جـ٤، ص ٥٥؛ مسلم، م٦، جـ١٦، ص١٣٩.

(٢) أحمد العناني: أربعة أبعاد للتكافل الاجتماعي الإسلامي "مجلة الوعي الإسلامي" عدد ٢٤٨ مايو سنة ١٩٨٥، ص ٣٠ ـ ٣٥.

حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما".. "ويرى الفقهاء أن الزكاة فريضة اجتماعية تشطر من مال الغني قدرا معلوما يجمعه ولي الأمر جبرا عن صاحبه إن امتنع ويكون في تركته يؤخذ منها إن لم يسدده في حياته"، وتكون الزكاة في الأموال والتجارة والمواشي والزروع.

ويقول الله تعالى في الحض على الزكاة: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [سورة المعارج ٢٤ :٢٥]،ويقول تعالى:﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٠٣]، ويقول سبحانه محذرا من عدم تقديم الزكاة: ﴿... وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [سورة فصلت٦ :٧] .

ثانياً: الصدقات: وهذه الصدقات تكون في عيد الفطر ليكون العيد بارا بالفقراء ويدفعها الغني لمن يعرف من الفقراء، روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن مما يلحق المؤمن عمله وحسناته بعد موته علما نشره، أو ولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه ومسجدا بناء، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته".

ثالثاً: الكفارات: وهي عقوبات قدرها الشارع الحكيم على: من أفطر في رمضان عاجزا عن الصيام، ومن حلف على أمر يريد فعله ثم حنث في يمينه، ومن تعمد الإفطار في رمضان وهو قادر على الصيام، ومن افترى على نفسه وقال إن امرأته كأمه في التحريم ولا شك أن هذه الكفارات تسد حاجة الفقراء الذين يطعمهم من فرضت عليه الكفارة...".

رابعاً: النذر: قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ... ﴾ [سورة الإنسان:٧] ، ولنتعرض لهذا المورد ببعض التفصيل:فالنذر قربة من القرب، وعبادة يبتغي بها وجه الله، وسبيل

من سبل البر بالمحتاجين، والأدلة من الكتاب والسنة قائمة على صحته وشاهدة على مدح فاعله، ومتظاهرة على أنه من جملة الطاعات التي يتقرب بها إلى رب السموات، وقد كان النذر في الشرائع القديمة قربة كما هو في شرعة الإسلام قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ... ﴾ [سورة آل عمران:٣٥] أي خالصا لوجهك، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، وقال تعالى: ﴿ ... فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [سورة مريم:٢٦] والآيتان صريحتان في أن النذر كان مقررا في الشرائع السالفة قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أقره وهذب حواشيه ونظم أصوله حتى يتمخض للعبادة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٠].

روى أحمد عن كردم بن سفيان: "أنه سأل رسول الله ﷺ عن نذر نذره في الجاهلية، فقال له: الوثن أو لنصب؟ قال لا، ولكن لله فقال أوف لله ما جعلت"، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه"(١).

مشروعية النذر:

هو مشروع بالكتاب والسنة، ففي الكتاب يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ... ﴾ [سورة البقرة:٢٧٠]، ويقول تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج.٢٩] ويقول تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [سورة الإنسان:٧]، وفي السنة يقول ﷺ: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه".

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان والنذر، باب النذر في الطاعة، جـ٢٥، ص٨٠.

متى يصح ومتى لا يصح :

يصح النذر وينعقد إذا كان قربة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ويجب الوفاء به، ولا يصح إذا نذر أن يعصي الله، ولا ينعقد كالنذر على القبور، وعلى أهل المعاصي، وكأن ينذر أن يشرب الخمر أو يقتل أو يترك الصلاة أو يؤذي والديه، فإن نذر ذلك لا يجب الوفاء به بل يحرم عليه أن يفعل شيئا من ذلك، ولا كفارة عليه لأن النذر لم ينعقد، يقول ﷺ: "لا نذر في معصية"(١). وقيل: تجب الكفارة زجرا له وتغليظا عليه(٢).

خامساً: الغنائم: والغنائم هي ما يقع تحت أيدي الغزاة المسلمين من أموال المشركين وأسلحتهم وأمتعتهم وغير ذلك من المتلكات إذا حاربوهم وانتصروا عليهم(٣) يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنفال:٤١] وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهرا وأعطيت الشفاعة".

سادساً: الوقف: يقول الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له"، وكان أول واقف في الإسلام هو عمر بن الخطاب.

---

(١) أبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، جـ٣ ن ص ٢٢٩.
(٢) السيد سابق فقه السنة، جـ٢، دار الفتح للإعلام العربي، ص ٧٢.
(٣) عبد المنصف محمود عبد الفتاح، التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة روز اليوسف، ص ٦٥.

سابعاً: العمل: يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ... ﴾ [سورة الملك:١٥] . ولقد قرر النبي ﷺ: "إن من الذنوب مالا يكفره إلا السعي في طلب الرزق".

ثامناً: الهدى: وهو كل ما يهدي إلى الحرم من الإبل أو البقر أو الغنم قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ ... ﴾ [سورة الحج:٣٦] .

تاسعاً: الوليمة في النكاح: عن أنس رضي الله عنه قال ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب: أولم بشاة"(١).

صور من التكافل الاجتماعي:

أ - كفالة الموسرين من الأقارب: لقد حارب الإسلام البطالة وحث على العمل حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره وحتى يسعى على نفسه وعلى عياله ويوفر له ولهم القوت.

ويوصي الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ... ﴾ [سورة النحل:٩٠]، ويقول تعالى: ﴿...وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ... ﴾ [سورة النساء:١] . ويقول سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ... ﴾ [سورة الإسراء:٢٦] ، ويقول الرسول ﷺ: "بر الوالدين والأقارب واجب. وقال: أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك حق واجب ورحم موصولة".

والإسلام يأمر بالإنفاق على الأقارب والمساكين وابناء السبيل، وقد جعل الله ذلك حقا يجب أداؤه، وقد اختلف العلماء في تحديد ذوي القربى الذي يجب الإنفاق

---

(١) البخاري، كتاب النكاح،باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض،فتح الباري، جـ٩، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

عليهم فقيل المراد بالآية الكريمة "وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل..." ما يتعين من صلة الرحم والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه"، ويقول الإمام مالك رضي الله عنه : إن القرابة التي توجب الإنفاق هي قرابة الأبوين والأولاد المباشرين فتجب نفقة الولد العاجز عن الكسب على أبويه، ونفقة الأبوين على الولد إذا كان قادرا وكانا فقيرين.

أما الإمام الشافعي فرأيه أوسع قليلا، هو أن الأصول من الآباء والأجداد والجدات تجب نفقتهم على فروعهم والفروع من الأولاد وأولاد الأولاد تجب نفقتهم على أصولهم، وإن كان هذا الرأي لا يمثل الفقه الإسلامي كاملا.

والحنفية يرون أن القرابة التي توجب النفقة هي القرابة المحرمة، أي القرابة التي تحرم الزواج فالأعمام والعمات والأخوال والخالات تجب نفقتهم على أقاربهم ولكن لا تجب نفقة ابن العم على ابن عمه.

أما الإمام أحمد بن حنبل فهو يعم القرابة كلها بلا استثناء فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنيا تجب عليه نفقته في حالة عجزه، لأن الحقوق متبادلة، والغرم بالغنم، والميراث يمتد فيشمل القرابة كلها، سواء أكانت قرابة قريبة، أم كانت قرابة بعيدة، وهو المعمول به في أكثر البلاد العربية.

ب – **النفقة على الضعفاء:** يقول الرسول ﷺ موصيا بذلك: "أبغوني في ضعفائكم، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم"، وفي ذلك يقول الشيخ أبو زهرة: "إذا لم يكن في القرابة قاصيها ودانيها من يستطيع الإنفاق على الفقير العاجز فعندئذ ينتقل الوجوب من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة

الكبيرة وهي المجتمع ممثلا في الدولة التي تحميه وتتسق بين قواه وتقوم بالقسط فيه وتنفذ التكافل الاجتماعي فيه على أكمل الوجوه".

جـ - الإيثار والتضحية: بما هو عزيز على النفوس في سبيل الآخرين فلابد للتكافل من قوم يؤثرون على أنفسهم ويضحون بالغالي والعزيز عليهم فالمجتمع فيه الواجدون والمحرومون وإذا لم يؤثر الواجدون على أنفسهم ولم يضحوا بما يملكون لم يقم التكافل ولم يتم التعاون، ويأتي هذا عن طريق التربية الخلقية للمسلم كما صورها القرآن الكريم، ومن صور التكافل الاجتماعي المسئولية والرحمة حتى بالحيوان، فيقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو عثرت بغلة في صنعاء لكنت مسئولا عنها لما لم أسو لها الطريق".

د - كفالة اليتيم: يقول الله تعالى في التحذير من عدم إكرام اليتيم والاعتداء عليه: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الفجر:١٧]، ويقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الماعون:٢] وفي الحض على إكرام اليتيم وكفالته يقول تعالى: ﴿...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٠﴾ [سورة البقرة:٢٢٠].

وهناك الكثير من صور التكافل بين الفرد والجماعة، وبين الفرد ونفسه، وبين الأمم المسلمة.

دور الداعية في العمل على نشر التكافل بين أفراد المجتمع:

يظن بعض الدعاة الذين لم يدرسوا أصول الإسلام دراسة وافية أنه دين صلاة وصوم لأن عنوانه المساجد والمساجد دور للعبادة ومن عرفها لا يعرف شيئا عن نظام الدنيا ولا يقف على أمراض المجتمع غير أن الداعية الحصيف المطلع الخبير بشئون الدين الإسلامي يرى أن الدين جاءه بسعادة الدنيا والآخرة وأنه أول دين أسس مبدأ التكافل الاجتماعي ولأن الداعية طبيب يقف عند رأس المريض لا يتركه حتى يشفى من دائه وخادم ساهر بجوار الأسرة حتى يهيئ لها وسائل العيش والحياة المستقرة وإنسان كريم نسي نفسه وذكر غيره لذا وجب عليه تفقد أحوال المحيطين به ممن هو مريض أو معسر فيقف خطيبا في الناس فيحثهم على هذا المبدأ بأن يهيئ لهؤلاء فرصة عمل كما فعل ذلك الرسول ﷺ في قصة الرجل الذي جاء إليه ﷺ وسأله الصدقة فعلمه الرسول ﷺ أن يأخذ قادوما ويذهب إلى الجبل فيحتطب". بهذا استطاع النبي ﷺ أن يقضي على البطالة. وهذا نوع من أنواع التكافل. وأن ينقذ أسرة من الانهيار ويهيئ العيش الكريم لها في ظل حياة مستقرة سعيدة هذا أمر. والأمر الثاني الذي ينبغي على الداعية أن يأمر به الأغنياء هو إخراج زكاة أموالهم والمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفكون عنه في صباح ومساء [1].

---

(١) وعن حديث الرسول ﷺ مع صاحب القدوم فقد روى أصحاب السنن: عن أنس ابن مالك ﷺ: "أن رجلا من الأنصار، أتى النبي ﷺ.. فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء، قال: أنتني بهما... فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قادوما فائتني به... فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال له: "اذهب فاحتطب وبع... ولا أرينك خمسة عشر يوما" فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم: فاشترى ببعضها ثوب، وببعضها طعاما... فقال رسول الله ﷺ: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة؟ إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع".

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٧٤].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد ضرب لنا مثلا رائعا في بث روح التكافل بين أفراد المجتمع، وهذا درس للدعاة ينبغي أن يقتدوا به فلقد حدث أن رأى رسول الله ﷺ أحد هذه المناظر الحزينة فشق عليه مرآها فجمع المسلمين ثم خطبهم فذكرهم بحق الإنسان على الإنسان وخوفهم بالله واليوم الآخر ومازال بهم حتى جمعوا ما أغنى وستر، عن جرير قال: "كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتابي النمار مشقوقي الملابس عامتهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة – تغير وحزن – فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة ثم خطب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء:١] ، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ... ﴾ [سورة الحشر:١٨] ، ثم قال ليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه أن تعجز عنها بل لقد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة أي صفحة مطلية بالذهب، فقال رسول الله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا"[1].

(١) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص ٢٢٦.

obeikandl.com

الخاتمـــة

وتشتمل على أهم التوصيات والنتائج:

أولا: التوصيات:

وبعد بيان أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فبأي شيء أقدم هذه التوصيات التي استفدتها من دراستي بهذا البحث؟.

١- ينبغي العناية التامة بحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ودراسته دراسة علمية لأنه أساس عمل الداعية ومن ثم أوصى الدعاة إلى الله تعالى بدوام حفظ القرآن الكريم فهو مصدرهم الأول في خطبهم أو أبحاثهم أو محاضراتهم فمنه يستنبطون المناهج والوسائل والأساليب وهو سر نجاحهم وفوزهم في الدارين.

٢- أوصي بمزيد الاهتمام بدراسة السور القرآنية دراسة موضوعية متخصصة لاستنباط ما فيها من المناهج والأساليب التي سلكها الرسل عليهم السلام في تبليغ الدعوة إلى كل المجتمعات. والعمل على الاستفادة من هذه الدراسات القرآنية في النهوض بمستوى الدعوة والدعاة وذلك بوضع الخطط والمناهج على أساسها.

٣- أوصي إخواني الدعاة بالبعد عن كل الصراعات الحزبية والسياسية والأهواء الذاتية حتى تثمر دعوتهم، وتؤثر كلمتهم ويفرغوا لمضاعفة نشاطهم في وسط مجتمعاتهم.

٤- أناشد كل الجهات المعنية بشئون الدعوة وإعداد الدعاة بالتركيز الشديد على النهوض بالمستوى العلمي والثقافي في إعداد الدعاة، كما أناشد

المسئولين عن وضع المناهج، بربط مناهج الدعوة في كليات المعاهد الإسلامية قاطبة بحيث يكون منهجا علميا موحدا يساهم مساهمة علمية في تطوير الدعاة علميا ونظريا.

٥- أوصى الدعاة أن يحرصوا على الاهتمام بدراسة العلوم الدينية والدنيوية وخاصة العلوم العصرية، كعلم الحاسب الآلي، فذلك مما يعود على الدعوة بالنفع وعلى الدعاة بمسايرة العصر.

٦- الاهتمام بتكثيف الجهود لعقد الدورات التدريبية المطورة للدعاة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، والمعنوية مع الاهتمام بإمدادهم بالدراسات البيئية للمجتمعات المتنوعة، فإن ذلك يضمن لهم عملية النهوض بالدعوة، ولاسيما ونحن في عصر التحضر والرقي، والدعاة في أمس الحاجة إلى مواكبة هذا التحضر.

٧- واجب على الدعاة أن ينتفعوا بمنهج أنبياء الله في دعوتهم لأقوامهم ومعرفة أحوال المجتمعات التي يدعون فيها، فيعملوا على إصلاح هذه المجتمعات بالدعوة الحكيمة والإرشاد السديد، ويعالجوا أمراض هذه المجتمعات برفق وصبر، وقوة عزيمة وثبات على الحق فلا يضعفوا في مواجهة العقبات التي تعترضهم وعلى قدر نجاحهم في تقويم الانحراف وهدم الفساد ونشر الصلاح، يكون نجاحهم في هذا الطريق.

٨- على الدعاة أن يقتدوا بمنهج القرآن الكريم ويتخذوه زادا لهم في إثبات القضايا الأساسية للدعوة إلى الله وترسيخها في قلوب وعقول المدعوين.

٩- لابد للدعاة من الجمع بين القول والفعل، فلا تكون أفعالهم مخالفة لأقوالهم فهم قدوة الناس في الأفعال والمسلمون ينتظرون منهم صحوة إسلامية مباركة تأخذ بأيدي المجتمعات إلى النجاة.

١٠- ينبغي للدعاة التنويع في أساليب دعوتهم، فالداعي طبيب القلوب والنفوس وما أكثر تنوع القلوب التي يحتاج كل منها إلى ما يناسبه، فعلى الداعي أن يكون ملما بحال المدعوين وشئونهم حتى يضع الدواء مكان الداء فتثمر دعوته وتؤتي أكلها.

١١- إن ما يعانيه كثير من مجتمعاتنا من أمراض وعلل نفسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية، قد تنتج عن غياب المنهج الدعوي المتكامل فلا سبيل لعلاج هذه العلل كلها إلا بالرجوع إلى هذا المنهج وتطبيقه في شتى وسائل الحياة.

١٢- ينبغي على الدعاة مراعاة الدقة والأمانة في الاستدلال بالقصص لمعالجة بعض موضوعات الدعوة، فإذا ما أرادوا سرد قصة في استدلال لهم فعليهم أن يعتمدوا على قصص القرآن الكريم ففيه تحقيق الغرض في الهداية والإرشاد.

١٣- على الداعي أن يستقي منهج دعوته من أساليب القرآن الكريم فينوع في الأسلوب حسب حاجة المدعو فلا يعتمد في دعوته على الترغيب فقط فيطمع المدعو في عفو الله وجوده فيقع في الاستهتار والمعاصي، ولا يعتمد أيضا على أسلوب الترهيب فقط فيقنط المدعو من رحمة الله وإحسانه فيعيش في قلق دائم وخوف مستمر وربما كان ذلك حائلا يحول بينهم

وبين هداية السماء فتكون نتيجته عكسية، لذلك على الداعي أن يجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب وضرب الأمثال والقصص القرآني.

١٤- أوصى الدعاة بألا يتشددوا أثناء أي حوار يجري بينهم وبين جمهور المدعوين وليكن حوارهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فإن ذلك مما يرغب الناس في دعواتهم ويجمع شتات قلوبهم، فنجدهم وقد التفوا حول هؤلاء الدعاة، واستجابوا لآرائهم.

١٥- كما أوصى أيضا بمراعاة الدقة في اختيار الدعاة المبعوثين من قبل الأزهر إلى شتى أقطار الأرض من أجل نشر الإسلام والتعريف به فيجب إعداد هؤلاء إعدادا علميا يتناسب وشرف الأمانة التي يحملونها وليكن هؤلاء البارزين والمتفوقين فكريا وسلوكيا وعمليا.

١٦- أناشد المسئولين عن الدعوة إنشاء جهازا عاما لتوجيه الدعاة إلى أقوم الطرق وأمثل المناهج لذلك ينبغي أن يكون القائم عليه من أرباب الفكر المستنير وأصحاب التخصصات في حقل الدعوة وتكون مهمته الرئيسية هي الدعوة النقية الخالصة من شوائب الأهواء والأغراض، وبعيدة عن أي مؤثرات محلية أو سياسية ولعل مجمع البعوث الإسلامية هو خير من يقوم بهذا الدور.

١٧- وفي الختام أوصي بمضاعفة الجهود المبذولة من أجل النهوض بالدعوة والدعاة، عن طريق وضع الخطط والمناهج المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.